

السيرة النبوية للبراعم

(٣٦)

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾

الدكتور

محمد عمر الحاجي

دار الفکر

دار الفکر

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق الا باذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy


للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

صَحِيفَةُ الْمُوَادَعَةِ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْوَضْعُ الْإِسْلَامِيُّ فِي الْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ ، إِذْ لَمْ يَبْقَ حَيٌّ مِنْ أَحْيَائِهَا إِلَّا وَدَخَلَ
فِيهِ الْإِسْلَامُ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ :
« فَتَحَتِ الْبِلَادُ بِالسَّيْفِ ، وَفُتِحَتِ الْمَدِينَةُ
بِالْقُرْآنِ » .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْوَضْعُ أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ
يُثَبَّتَ أَرْكَانَ الْأَمْنِ ، وَالْأَمَانِ ، وَذَلِكَ بِهَدْفِ
التَّفَرُّغِ لِأُمُورِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَعَقَدَ

عَهْدًا مَعَ يَهُودِ الْمَدِينَةِ ، وَوَقَّكَ ذَلِكَ بِأَنَّ أَمْرَ
بِكِتَابَةِ الْمُعَاهَدَةِ عَلَى صَحِيفَةٍ . وَمِمَّا جَاءَ
فِيهَا مَا يَلِي :

« ... وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ ، وَعَلَى
الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ
حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْحَ
وَالنَّصِيحَةَ ، وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْتُمْ
أَمْرٌ بِحَلِيفِهِ ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ ، وَإِنَّ
الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا
مُحَارِبِينَ ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ
الصَّحِيفَةِ ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا
آثِمٍ ، وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، وَإِنَّهُ
مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدِيثٍ أَوْ

اشْتَجَارِ^(١) يُخَافُ فَسَادَهُ فَإِنَّ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنَّ اللَّهَ
عَلَى اتَّقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وَإِنَّهُ لَا
تُجَارُ قَرِيشٌ ، وَلَا مَنْ نَصَرَهَا ، وَإِنَّ بَيْنَهُمْ
النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ^(٢) يَثْرِبَ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى
صُلْحٍ يُصَالِحُونَ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَ ، وَإِنَّهُمْ
إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ : عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ
حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ ، وَإِنَّ يَهُودَ
الْأَوْسِ ، وَمَوَالِيَهُمْ ، وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى مِثْلِ مَا
لِأَهْلِ الصَّحِيفَةِ مَعَ الْبِرِّ الْحَسَنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ

(١) أي : اختلاف .

(٢) أي : فاجأها .

الصَّحِيفَةَ ، وَإِنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ : لَا يَكْسِبُ
كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ أَصْدَقِ مَا
فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا
الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَأَثِمٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ ،
وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، وَأَثِمٌ ،
وَإِنَّ اللَّهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى ، وَمُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

* * *

كَذِبٌ... وَوَفَاءٌ... وَدَوْرَانُ...!!

لَكِنْ هَلْ يَلْتَزِمُ الْيَهُودُ بِمُعَاهَدَةٍ ، أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ ؟

أَبَدًا ، فَقَدْ أَثْبَتَتْ وَقَائِعُ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ
وَالْحَدِيثِ : أَنَّ الْيَهُودَ لَا عَهْدَ لَهُمْ ، وَلَا ذِمَّةَ...!!
تَرْوِي كُتُبُ السِّيَرَةِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ ، وَحَدَّرَهُمْ
غَيْرَ اللَّهِ ، وَعُقُوبَتَهُ .

فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ .
فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَسَعْدُ بْنُ

عُبَادَةَ ، وَعُقْبَةَ بْنِ وَهَبٍ : يَا مَعْشَرَ يَهُودِ!!
اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَ اللَّهُ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَهُ لَنَا قَبْلَ
مَبْعَثِهِ ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَاتِهِ .

فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُودَا :
مَا قُلْنَا لَكُمْ هَذَا قَطُّ ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ
بَعْدَ مُوسَى ، وَلَا أَرْسَلَ بَشِيرًا ، وَلَا نَذِيرًا
بَعْدَهُ!!!

فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفَضَحَهُمْ ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ
سُبْحَانَهُ : ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ
فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

(١) سورة المائدة : ١٩ .

وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى وَهُوَ
 يَتَحَدَّثُ عَنِ الْيَهُودِ وَطَبَائِعِهِمْ : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا
 عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
 جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
 كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ
 اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ
 يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا
 عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

* * *

(١) سورة البقرة : ٨٧-٨٩ .

أَسِئَلَةُ تَعْجِيزِيَّةٍ.. وَأَجْوِبَةُ قُرْآنِيَّةٍ

وَاجْتَمَعَ كِبَارُ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، وَتَشَاوَرُوا
فِيمَا بَيْنَهُمْ حَوْلَ كَيْفِيَّةِ مُجَابَهَةِ دَعْوَةِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِاحْتِدَادِ مَنْ سُرِعَتْ انْتِشَارُهَا .

وَاتَّفَقُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ بِالْأَسْئَلَةِ
التَّعْجِيزِيَّةِ ، وَلِكِنَّهُمْ نَسُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَهْدَ بِأَنْ يَحْفَظَ الرِّسَالَةَ
وَالرَّسُولَ ﷺ ، وَمِنْ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ :

جَاءَ بَعْضُ كِبَارِ الْيَهُودِ ، مِنْهُمْ : النَّحَّامُ بْنُ
زَيْدٍ ، وَكَرْدَمُ بْنُ قَيْسٍ.. إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ! أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
غَيْرَهُ ؟

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ ، وَإِلَى ذَلِكَ أَدْعُو » .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم
لَتَشْهَدُونَ آتٍ مَعَ اللَّهِ ءِالِهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا
هُوَ اللَّهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمْ
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة الأنعام : ١٩- ٢٠ .

... فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ جَالِسًا
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ جِبِلُّ بْنُ أَبِي قُشَيْرٍ
 وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ ، فَقَالَا : يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنَا
 مَتَى نَقُومُ السَّاعَةَ ، إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ!
 فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ
 رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا
 تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا
 عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

... وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
 لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا ،

(١) سورة الأعراف : ١٨٧ .

جَاءَهُ بَعْضُ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ!
أَرَأَيْتَ قَوْلِكَ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

إِيَّانَا تُرِيدُ أَمْ قَوْمَكَ ؟

قَالَ : « كَلًّا » .

قَالُوا : فَإِنَّكَ تَتْلُو فِيمَا جَاءَكَ : أَنَا قَدْ
أَوْتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا بَيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ
قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ
أَقَمْتُمُوهُ » .

قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ
عَنْهُ ، مِنْ ذَلِكَ :

(١) سورة الإسراء : ٨٥ .

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ
يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

... وَذَاتَ يَوْمٍ ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَخَاهُ
سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي
الْمُرْسَلِينَ .

فَقَالَ بَعْضُ أَحْبَابِ الْيَهُودِ : أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ
مُحَمَّدٍ ؟ يَزْعُمُ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ نَبِيًّا!
وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا...!!

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَمَا
كَفَرُوا سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ

(١) سورة لقمان : ٢٧ .

النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ
وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ
فَلَا تَكْفُرْ... ﴿١﴾ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

(١) سورة البقرة: ١٠٢ .